السلفية العالمية: حركة إسلامية دينية جديدة

تحرير: رويل ماير

أرمين سنانوفيتش

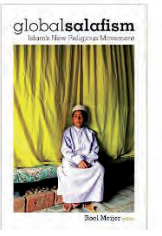

يتألف هذا الكتاب من مجموعة من المقالات عن مختلف جوانب السلفية، التي تعد ظاهرة عالمية. كتب هذه المقالات عدد من كبار العلماء والخبراء، وأغلبهم من الأوروبيين. وعلى عكس العديد من الكتب التي تم تأليفها في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية، لا يسهب هذا العمل في التفكير في أسئلة مثل: "لماذا يكرهوننا؟"، ولا يهتم بشكل أساسي بقضايا مثل الإرهاب والتطرف، أو مكافحة التمرد. بل خلافًا لذلك، يقدم هذا العمل دراسة متعمقة وفهمًا للسلفية العالمية من خلال وجهات النظر الكلية والجزئية على حد سواء، بهدف التوصل إلى وعي مترسخ لهذا الفصيل من الإسلام المعاصر.

يتألف الكتاب من 18 مقالة، بالإضافة إلى مقدمة، وينقسم إلى خمسة أقسام فرعية: العقيدة السلفية، السلفية والسياسة، السلفية الجهادية، السلفية المحلية والعالمية، السلفية والهوية. يحتوي كل قسم على أربعة أو خمسة مقالات، بدءًا من الدراسات النظرية لدراسات الحالات المختلفة والأسئلة الاجتماعية والسياسية والدينية. وهكذا، نجد أن هناك مقالات عامة ونظرية عن العقيدة السلفية والسياسة، التي تقدم لمحة عامة عن المذاهب السلفية وممارساتها. هناك أيضًا فصول تحتوي على دراسات لبعض الحالات، بدءًا من بلدان بعينها (السودان وباكستان وإندونيسيا ومصر وفلسطين وإثيوبيا والمملكة المتحدة وفرنسا وهولندا) إلى دراسة بعض المفاهيم الخاصة وبعض قادة السلفية، والعلماء، والشخصيات (الولاء والبراء، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو محمد المقدسي، وأبو مصعب السوري). أيضًا تلقي المقالات الضوء على التفاعل بين الخطاب السلفي المحلي والعالمي.

يفتتح الكتاب بمقال بارع للمحرر رويل ماير، يقدم فيه الجوانب الفقهية السلفية الرئيسة، وفي نفس الوقت يستعرض تأثير السلفية على السياسة والمجتمع والهوية، ويقدم مناقشات حول التوترات السلفية والوهابية، وكذلك وجهات النظر حول العلاقات السلفية السنية الشيعية والعلاقات الإسلامية وغير الإسلامية. كما أن مقال برنارد هايكل يعد مقدمة ممتازة للفكر والعمل السلفي. ويرى أن شعبية السلفية في الوقت المعاصر، يجب ربطها بالاعتقاد الديني، القائم على القرآن الكريم (ص 36). يدعي السلفيون أنهم أهل السنة الحقيقيون وهم الفرقة الناجية الوحيدة من النار في الآخرة (سورة آل عمران، الفرقة الناجية) (ص 34). وفقًا لهايكل، المفاهيم الأساسية للسلفية هي التوحيد (وحدانية الله)، والشرك (الإشراك بالله)، والبدعة (الابتكار في المسائل الدينية)، والتكفير (الطرد والحرمان)، والاجتهاد والتقليد (التفسير المستقل

وتقليد واتباع مذهب فقهي بعينه)، والمنهج (الطريق/ الأسلوب). ويرى هايكل أن الفرق الرئيسي بين الوهابيين والسلفيين هو أن الوهابيين هم اتباع المذهب الحنبلي (مذهب فقهي) في حين أن السلفيين يرفضون التقليد (ص 42 45-). ملحق المقال، ترجمة هايكل لـ"عقيدة ونهج تنظيم القاعدة"، قد يجعل القارئ غير المطلع يستنتج أن السلفية تنتهي بالضرورة إلى جهاد تنظيم القاعدة. لهذا كان ينبغي فصل هذا الملحق عن المقال، وإلحاقه بالملاحق المرفقة الأخرى.

وكتب لاكروا مقالًا رائعًا حول تأثير الألباني في الفكر السلفي، وصنف علماء الحديث إلى الوهابيين والإخوان المسلمين وأقطاب الصحوة في المملكة العربية السعودية. وكانت النتيجة هي ظهور ما أطلق عليه لاكروا مدرسة أهل الحديث الجدد (ص 68 – 74). أما مريم أبو الذهب فتستكشف الفرع الباكستاني للسلفية في فصل مستقل حول حركة أهل الحديث. ويتناول المقالان الآخران في القسم الفرعي التمهيدي مفهومًا مهمًّا هو: الولاء والبراء، ترجمة لويجميكر. في مقالته التي تحمل عنوان «الولاء والبراء» "loyalty and disawoval" في فكر أبي محمد المقدسي، والتوجهات المعادية للشيعة في الفكر الوهابي السلفي يبين ويجميكر التطورات والتغييرات التي طرأت على مفهوم الولاء والبراء، وكيف قدم المقدسي عنصرين جديدين؛ السياسة والحرمان (التكفير)، الأمر الذي نتج عنه الأيديولوجية الراديكالية التي يدعمها هذا التفسير (ص 92 – 101). في المقال المناهض للتشيع، يرى شتاينبرغ أن السلفيين الجهاديين، استغلوا تعصب الوهابيين ضد الشيعة، وبرروا استخدام العنف ضدهم.

المقالات المتبقية هي في معظمها دراسات حول دول، على الرغم من وجود قسم عن السلفية الجهادية، ذات الطبيعة المفاهيمية. نتعلم من هذه الدراسات أن السلفية شقت طريقها إلى إندونيسيا وإلى أوروبا الغربية، بعد أن نشأت في الشرق الأوسط. يكشف نوح سالمون في مقال رائع حول النقد السلفي للإسلاموية في السودان، عن كيفية انتقاد أنصار السنة، وهم حركة سلفية سودانية، للإخوان المسلمين. ويصف ببراعة الشقاقات بين الإخوان المسلمين والسلفيين التي ظهرت في مصر بعد الربيع العربي. ويقدم نور هايدي حسن سردًا واقعيًّا للدعوة السلفية في إندونيسيا، التي روج لها الأندونسيون الذين درسوا في جامعات المملكة العربية السعودية (ص 174 – 179). توضح مقالته أيضًا كيف أن التصدعات في الحركة السلفية نتجت عن انخراط اتباعها في المناقشات حول الجماليات الدينية في الشخصية السياسية. وبينما يصيب في تعقب ظهور السلفية في إندونيسيا، بسبب الطلاب الذين درسوا في الجامعات والمعاهد السعودية، لا يوضح حسن لماذا لاقت السلفية قبولًا بين فئات بعينها في المجتمع الإندونيسي؟

مقال ماير حول الجماعة الإسلامية، يركز على مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكرنا بدور الحركة في الخطاب الديني المعاصر في مصر. يظهر ماير تطور الحركة كحجر أساس لنظرية الإسلام السياسي الأكثر نضجًا التي تركز على الإنسان وتفتح الطريق لمجتمع مدني إسلامي. تخلى عن تشدد ودوغمائية السلفية "(ص 217). صعود السلفية في فلسطين، انحشر بين فتح وحماس، ويرجع ظهورها في فلسطين إلى الطلاب الذين درسوا في الجامعات السعودية، وهو نفس الشيء الذي حدث في إندونسيا. ونظرًا لطبيعة السلفية المتعددة القوميات، فإن خطابهم "بعيدًا عن فلسطين" (ص 237-241). المقالات الثلاثة عن السلفيين الجهاديين في غاية الروعة. يقدم توماس هيجهامر، في مناقشته لهذه الظاهرة، جدول تصنيف مفيدًا للنشاط الإسلامي (ص 259)، ويعد

مادة علمية مفيدة وسهلة في التدريس. أما روفين باز فيتناول مجموعة كبيرة من القضايا في مقاله؛ التكفير، والتطرف، والتفجيرات الانتحارية، ويقدم لمحة جيدة عن هذه القضايا. هذا الفصل يعد الأضعف من حيث حجم البحث، فهو قصير ويحتوي على سبعة هوامش فقط، على نقيض المقالات الأخرى، إلا أنه يوضح بعض الطرق المفيدة للتفكير في مصادر وانشقاقات الحركة السلفية (ص 269 – 273). ويتناول برينيار ليا الانقسامات الأيديولوجية بمزيد من التفصيل في مقالة حول نقد أبي مصعب السوري للسلفية الجهادية.

يتم تناول الانقسام المحلي والعالمي والتوترات في ثلاث دراسات حول المملكة العربية السعودية واليمن وإثيوبيا. على الرغم من إصرار السلفيين "على عبور الحدود" في دعوتهم، إلا أنهم تورطوا في السياسة المحلية والمنازعات، تمامًا مثل نظرائهم من الشيعة الذين ينتمون إلى مذهب إسلامي مختلف. مضاوي الرشيد تذكرنا بأن "الجهاديين السلفيين المعاصرين هم نتاج الحداثة" (ص 306). وتحذر أيضًا من تطور خطاب الإلهام، تسلسلًا من ابن تيمية لتنظيم القاعدة (ص 305). الجزء الأخير من الكتاب يركز على السلفيين في الدول الغربية الأوروبية الثلاث: فرنسا وبريطانيا، وهولندا. هذه المقالات الثلاث تركز على الطائفية السلفية، إن لم يكن القبلية، والهويات. لا يركز السلفيون الأوربيون على كسب معتنقين جددًا للإسلام، بل على زيادة أعداد "الفرقة الناجية" من المسلمين (ص 370–371). وبين الثقافة المحلية والثقافات الموروثة من البلدان الإسلامية، يرفض السلفيون الأوروبيون كل هذه الثقافات، ولا يعترفون إلا بالقرآن الكريم في قواعد السلوك. على هذا النحو، فإنهم يصبحون هدفًا للدولة والجماعات الإسلامية التقليدية (ص 396–400). ينتهي الكتاب بملحق يتألف من حوالي 20 صفحة عن السير الذاتية للمفكرين والناشطين السلفيين البارزين.

يعد هذا الكتاب إنجازًا مذهلًا ومساهمة كبيرة في دراسة الإسلام المعاصر، وخاصة النشاط الإسلامي. الكتاب كبير، لذلك لا ينبغي أن نتوقع أن يتصفحه القارئ في وقت قصير. ومع ذلك، فإن هذا الكتاب جدير بالوقت الذي يقضيه القارئ في قراءته. تظهر خبرات الكتاب في مستوى العرض الرائع للموضوعات التي تمت مناقشتها. فنادرًا ما تصادف القارئ ضحالة العديد من الكتب التي تتناول سمات الإسلام على مدار العقد الماضي. كما أن مستوى البحث رائع، ويتجلى في الحواشي والمراجع الوفيرة. لا يقتصر الكتاب على استخدام المصادر باللغات الأصلية (العربية في الغالب، ولكن أيضًا البهاسا الإندونيسية، والفرنسية، والهولندية)، لدى الكاتب أيضًا علاقات بالعديد من الشخصيات التي نوقشت في الكتاب من خلال المقابلات الشخصية والملاحظات. المقالات أيضًا توفر العديد من المصادر على شبكة الإنترنت لدراسة الفكر السلفي. أيضًا تمت فهرسة الكتاب بطريقة تفيد في البحث عن موضوعات مختلفة. تناول المحرر مجموعة واسعة من الموضوعات والمناطق، من غرب أوروبا إلى جنوب شرق آسيا. تم ذكر القليل فقط عن الحركات السلفية في أمريكا الشمالية، ومنطقة البلقان، وآسيا الوسطى. يمكن أخذ هذا في الاعتبار في النسخ اللاحقة. ينبغي على كل مهتم بالنشاط الإسلامي المعاصر قراءة هذا الكتاب، وخاصة الجماعات السلفية والجهادية. كما أن الكتاب مفيد أيضًا في التدريس في الكليات والجامعات، وفي الدراسات العليا. يعارض الكتاب العديد من الأساطير المتعلقة بالنشاط السلفي، والتي ظهرت في ظل مناخ مشحون خلال العقد الماضي. على هذا النحو، فإنه يتطلب قراءة متأنية، وتفاعلًا وفهمًا عميقًا.